

اتفاق قره باغ الأخير ومحاولة الالتفاف التركية

على حين غرة من باكو وبروز عدم استعداده لهذا الصراع على الرغم من علامات التحذير منذ أواسط يوليو الماضي، وزد على ذلك إدارته الخسلة للصراع حيث كان الرأي العام لا يعلم جيدا مدى التقهقر العسكري. هكذا تأكدت خسارة أرمينيا و"جمهورية أرتساخ" (ناغورني قره باغ) التي استولت عليها أرمينيا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ولم تحظ بأي اعتراف دولي أو إقليمي. والأقسى بالنسبة إلى يريفان التي تباهت بثورتها الديمقراطية قبل عامين، ما هي تضطر إلى التسليم بتبعتها لموسكو.

في المقابل، يمكن لأذربيجان ورئيسها إلهام علييف أن يقدموا نفسيهما على أنهما الفائزان الحقيقيين. لكن هذا النصر لم يكن ليحقق لولا الدعم التركي وقبول نشر القوات الروسية على جزء من أراضيها. ومما لا ريب فيه أن شبكة المصالح التي تربط باكو مع لوبي الطاقة الروسي والأولغارشية في محيط الرئيس فلاديمير بوتين، برهنت على متانتها. وإضافة إلى ذلك نجح علييف في الجمع بين المتناقضات، أي الدعم الإسرائيلي والتغاضي الإيراني. في المحصلة يمكن القول إن الفائزين الحقيقيين في هذه العملية المحزنة هما روسيا بمثابة الحكم واللاعب الرئيسي وتركيا بمثابة الوصيف واللاعب الثاني ضمن النظام الإقليمي في جنوب القوقاز.

واللافت هو نجاح القيصر الجديد فلاديمير بوتين في تعزيز قبضته على البلدين المحاربين في نفس الوقت، وبعد ست سنوات من غزو أوكرانيا، وبعد 12 سنة على تحجيم جورجيا في توسيع وجوده العسكري في قضاء ما بعد الاتحاد السوفيتي أو ما يسميه بجواره القريب حتى ولو كان ذلك على حساب اقتصاده الضعيف. وعلى لائحة الخاسرين لا بد من الإشارة إلى خاسرين آخرين: الدبلوماسية الأوروبية التي لم تنجح من خلال مجموعة مينسك (التي أنشأتها منظمة الأمن والتعاون في أوروبا (OSCE) مع روسيا والولايات المتحدة وفرنسا كرؤساء مشاركين) في لعب دور يذكر بعد سنوات من المفاوضات العقيمة وعدم القدرة على إنتاج تسوية مقنعة. أما الخاسر الآخر فهو الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون الذي خسر جولة من مبارزته مع الرئيس التركي لأن الصراع بعيد عن مجاله الجيوسياسي ولأنه ربما لم ينته كفاية إلى لعبة المقاطعات بين السلطان الجديد والقيصر الجديد على حساب الاتحاد الأوروبي وكل المعسكر الغربي.

بيد أنه بالرغم من مسارعة الجانب التركي إلى التهليل للنصر الأذري واعتباره فخرا للأمة التركية، إلا أنه لا يمكن إخفاء المرارة من تحقيق إنجاز حاسم على جبهة خارجية في وقت تتصاعد فيه الأزمة الاقتصادية داخليا بعد إقالة حاكم المصرف المركزي واستقالة وزير المالية الذي هو صهر أردوغان بالذات. وما فتح الممر التركي نحو الشعوب الناطقة بالتركية تحت إشراف موسكو، إلا بمثابة جائزة ترضية لأن الجانب التركي ساءه عدم دعوة أنقرة إلى طاولة المفاوضات. على الرغم من الدعم الساحق الذي لعب دورا حاسما في النجاح العسكري لأذربيجان، ونتيجة الإصرار وخشية موسكو من التفات تركي أنزعت أنقرة توقيع اتفاق بشأن "مركز تركي روسي مشترك للسيطرة على وقف إطلاق النار ومراقبته" ضمن الحد الأدنى من التواجد العسكري أو الأمني التركي في أراضٍ سيطرت عليها قوات باكو. تغيّرت اللعبة في جنوب القوقاز مع تلقين الرئيس الروسي درسا لرئيس الوزراء الأرميني تحديدا وكانت أرمينيا شبه معزولة في محيطها مما قلب موازين القوى. لكن ذلك لا يعنى الوصول إلى حل نهائي عادل ومقنع في هذا النزاع المزمع. مثل الاتفاق الأخير الحل المؤجل لنزاع تاريخي مزمع بانتظار فصل جديد من لعبة الأمم.

د. خطار أبودياب
أستاذ العلوم السياسية المركز
الدراسي للدراسات الجيوبوليتيك - باريس

نغد صبر روسيا بعد 44 يوما على المعارك الدامية في جوارها القريب، لم يسمح الرئيس فلاديمير بوتين لأذربيجان بتحقيق انتصار حاسم وجعل أرمينيا تتفادى هزيمة مذلّة. بعد تردد وقيل تمركز الإدارة الأميركية الجديدة أكد سيد الكرملين على نفوذه في البلدين المتحاربين وخاصة أرمينيا التي دفعت ثمن مسعاها للتوجه غربا وتقليد ما فعلته جورجيا في عام 2008.

وفق الأسلوب البوتيني في نقل حجارة الشطرنج ولم يتم إشراك تركيا إلا لاحقا وبدور رمزي في مركز للعمليات وليس في قوات الفصل مما أبقى حسرة عند الرئيس رجب طيب أردوغان الذي كان يأمل في إنجاز صريح. ولذا أدى إطلاق موسكو لصفارة الإنذار النهائية بعد الإسقاط الغاضب لمروحية روسية في أذربيجان إلى الارتباك في باكو، وهكذا أصبح هامش مناورة أنقرة محدودا، ومن هنا ستحاول تركيا الالتفاف على الاتفاق الأخير لتسجيل بعض المكاسب ولو من الباب الدعائي. لكن الممر البري الذي يصل الأناضول التركي مع العالم الناطق باللغة التركية سيبقى تحت رقابة موسكو وسيكون تحقيق الطموح التركي في القوقاز وآسيا الوسطى خاضعا لقبول روسيا بشكل أو بآخر. كرس "وقف إطلاق النار الكامل" في إقليم ناغورني قره باغ الذي أبرمته أرمينيا وأذربيجان في 9 نوفمبر الحالي تحت رعاية موسكو، مكاسب الجيش الأذري منذ بداية هجومه في 27 سبتمبر الماضي. بموجب شروط هذا الاتفاق، تستعيد باكو السيطرة على جميع المقاطعات السبع المجاورة للإقليم التي احتلتها أرمينيا منذ التسعينات ويمكن للأذريين المطرودين العودة إلى ديارهم تحت رعاية الأمم المتحدة.

ولم يتم تحديد الوضع المستقبلي لقره باغ، لكن عاصمة الإقليم ونواحيها السكنية الأرمينية ستكون تحت وصاية "قوة سلام" قوامها 2000 جندي روسي ستتمركز لفترة أولية مدتها خمس سنوات وستضمن وجود ممرين جديدين: أحدهما يربط أراضي كاراباخ التي الخاضعة للسيطرة الأرمينية بأرمينيا، الذي سيحل محل "ممر لاشين" الذي قطعه الهجوم الأذري والذي سيتجاوز شوشي (ذات الموقع الاستراتيجي)، وأخرى تربط ناخيتشيفان، وهي أرض أذرية غير ساحلية في أرمينيا، بأذربيجان - وبالتالي تربط تركيا مع أذربيجان أيضا.

منذ بداية الحرب الانتقامية من حرب 1994 التي كسبتها أرمينيا، كان من الواضح أن أذربيجان تخطط لاختراق هائل مستندة إلى الدعم التركي (خاصة لجهتي الطائرات المسيّرة أو الاستعانة بالمقاتلين الأذري أو المرتزقة) وكان ذلك يمكن أن يحصل فقط في حالتين: الخسارة الكاملة لناغورني قره باغ؛ أو سقوط شوشي المدينة المشرفة على عاصمة الإقليم. وعندما كاد يحصل الاحتمال الثاني تدخلت روسيا لتحسم الوضع حسب توقيتها. وتحقق ذلك بفضل نفوذ فلاديمير بوتين في جنوب القوقاز وتجاذبه (وتقاطعاته) مع اللاعب الرئيسي الآخر أي الرئيس التركي رجب طيب أردوغان. ومن دون شك لعبت التكلفة البشرية العالية لهذا الصراع دورا في قبول وقف إطلاق النار، إذ سقط المئات من القتلى من المقاتلين (5000 ضحية على الأقل حسب تقديرات بوتين).

في حرب جنوب القوقاز ومن دون لبس هناك فائزون وخاسرون. من الواضح أن الخاسر الأكبر هو أرمينيا التي يتوجب عليها أن تعيد أراضٍ احتلتها منذ 1994 إلى أذربيجان، لكنها قبل كل شيء تفقد السيطرة العسكرية على قره باغ لصالح "حليفها الروسي". ومما لا شك فيه أن رئيس الحكومة نيكول باتشينيان سيدفع ثمنا أخذه في هذه المرحلة.



توقعات سياسة بايدن في المنطقة العربية حسب الخبراء

سياساتها حيال إسرائيل وفق مصالحهم الخاصة. ويتابع "هناك شيء أوسع يحدث الآن. وهذا هو سبب استمرار عملية التطبيع هذه. لكن هذه العملية لن تستمر بالضرورة بنفس الطريقة التي تظهر فيها دولة عربية فجأة وتقول: حسنا، سنقوم بالتطبيع التام مع إسرائيل. اعتقادي أننا سنرى الدول العربية، وهي تقوم بخطوات أقل، لكنها على الأرجح ستقول لنفسها وللعالَم العربي: انظروا، عندما نتخذ الخطوة، فإننا ننظر رؤية ما يفعله الطرف الآخر لصالح الفلسطينيين". ويشرح دينيس روس وجهة نظره قائلا "في ذلك السياق التدريجي، ستقول الحكومات المتدرجة في اتجاه التطبيع وكأنها تخاطب إسرائيل: نحن لا نغطي 100 في المئة، وأيضا لا نطلب منك 100 في المئة".

بايدن يرث الكثير من المصاعب المحلية التي من شأنها دفع الشرق الأوسط إلى أدنى قائمة الأولويات والتفويض الذي عبرت عنه نتائج الانتخابات يقضي بعدم التركيز على الخارج

وحول احتمالات أن تتقدم إدارة بايدن بمبادرة سلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين، أجاب ماكوفسكي "أميل إلى الاعتقاد بأن بايدن سوف ينجزه في المرحلة الأولى، للعمل على إنهاء المقاطعة الفلسطينية. أتوقع أن الأمر سيكون أشبه باتخاذ خطوات رمزية في هذا الصدد، مثل إعادة فتح القنصلية الأميركية في القدس الشرقية، ومعرفة ما هو ممكن من خلال استئناف المساعدات الإنسانية للفلسطينيين. أعتقد أن الفلسطينيين سيكونون أكثر ذكاء لجعل ذلك ممكنا من خلال تغيير قوانينهم لكي يتحاشوا اضطراب الإدارة إلى الاستمرار في العمل وفق قانون تاييلور فورس" الذي أصدره الكونغرس لوقف المساعدات للسلطة الفلسطينية (والقصد من هذا التوجيه هو مسألة الأعمال العسكرية ضد قوات الاحتلال، وما يسمونه "التحريض").

أما دينيس روس فيقول قائلاً "لا أعتقد بحدوث انفراج كبير بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وهذا لا يعني أي الدبلوماسية ستتوقف. فعندما لا توجد دبلوماسية، ينشأ الفراغ. وفي الحقيقة لم نجر محادثات سياسية مباشرة بين الإسرائيليين والفلسطينيين منذ ربيع عام 2014 ولن يكون صانعا لإطلاق بعض المبادرات الجديدة، الكبيرة والتلقائية، التي من المؤكد أنها ستفتل في هذه المرحلة".

الشاملة المشتركة. أنت تنظر في الأمر على افتراض أن هناك مفاوضات تستغرق بعض الوقت. لكنني أعتقد أن الموقف الأول لإدارة بايدن، هو عدم التواصل مع الإيرانيين. فهذه الإدارة ستكون معنية باستعادة موقف مشترك مع البريطانيين والفرنسيين والألمان، لصياغة سياسة موحدة، ليس فقط بشأن القضية النووية، وإنما أيضا بشأن الصواريخ الباليستية وسلوك إيران في الإقليم". وردا على السؤال، ماذا سيحدث لاتفاقيات التطبيع التي تم التوصل إليها بواسطة إدارة ترامب، وتلك الشروعات الطبيعية التي في أطوارها الجنينية؟ أجاب ماكوفسكي "أعتقد أن بايدن سيبني على ما فعله ترامب بخصوص التطبيع، فهذه واحدة من القضايا القليلة التي لم يعارض فيها الإدارة السابقة. بالعكس لقد رآها خطوة عظيمة. وفي تقديري أن "اتفاقيات إبراهيم" يمكن أن تكون جسرا وليس طريقا للتفافية".

واستطرد "ومثلما أوقف الاختراق الإماراتي ضم الضفة الغربية، ربما يتكرر الموقف، وفي كل خطوة تتخذها الدول العربية تجاه إسرائيل، تتخذ إسرائيل خطوة تجاه الفلسطينيين". ويحجب شانزر عن السؤال قائلا "أعتقد أن هناك إيراكا بين مستشاري بايدن، أن هناك فرصا حقيقية لصنع السلام في أعقاب اتفاقات إبراهيم. نحن نبحث في إمكانية انضمام سلطنة عُمان والمغرب والمملكة العربية السعودية وربما قطر. من شبه المؤكد أن إدارة بايدن المستقبلية، سوف تتطلع إلى الاستفادة من تلك الفرص. السؤال الوحيد هو حقيقة ما إذا كان سينفق على الفلسطينيين نفس الوقت أو الجهد، لكي يتلاموا مع هذه العملية". وأردف "لا يوجد سبب لتجاهل الفلسطينيين. يمكن للمرء متابعة هذه الاتفاقيات الهامشية، وكل اتفاقيات التطبيع هذه، وفي الوقت نفسه يتعامل مع الفلسطينيين. أعتقد في الواقع أن هذا الأمر سيغطي نفوذا للإدارة. فعندما يرى الفلسطينيون أن دولا أخرى تسير على خطى الإمارات والبحرين يشجع على التسوية. من الصعب تخيل أنهم قادرون على تجاهل هذا السياق حتى الآن يبدو أن حدوث ذلك لا يزال صعبا جدا".

دينيس روس قال "أعتقد أن دولا أخرى ستحذوا حذو الإمارات والبحرين، لكنها ستفعل ذلك بطريقة خطوة خطوة. يجب على الفلسطينيين أيضا أن يدركوا أنهم تخلفوا عن الركب، وأن الدول العربية واضحة تماما في رفضها السماح للفلسطينيين بعد الآن، بتحديد

الأولى، أو ربما خلال السنتين المقبلتين". ويؤكد دينيس روس، ما قاله زميله، فيقول إن القضايا الداخلية ستكون لها الأولوية. مضيفا "ربما تشهد طفرة للجائحة تصل إلى مئتي ألف إصابة يوميا بحلول شهر مايو. لا بد من التركيز على استباق الكارثة". في الإجابة عن السؤال المتعلق بالعودة إلى الاتفاق النووي الإيراني، قال ماكوفسكي "الرئيس المنتخب، يرغب في تجديد خطة العمل المشتركة مع الأوروبيين، شرط أن تلتزم إيران بمحددات الاتفاق، فالإيرانيون لن يمتثلوا. لذلك سيستغرق الأمر بعض الوقت".

ويستطرد ماكوفسكي "إن العبارة الأكثر أهمية في تصريحات بايدن حول هذا الأمر، هي قوله إن علينا التمييز بين مشروع تسوية للصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وما هو مصير اتفاقيات التطبيع".

هذه الأسئلة الثلاثة، لا بد أنها راودت أذهان القادة السياسيين في العالم العربي، حيث لا يختلف اثنان على أهمية السؤال: كيف سيتعامل بايدن مع الشرق الأوسط؟ بالتطهير والتعليق، الإيجابية التي أدلى بها عدد من المختصين الأميركيين، ونشرتها صحيفة "جيزوراليم بوست". وهم ديفيد ماكوفسكي، مدير معهد واشنطن لمشروع سياسات الشرق الأدنى وعملية السلام في الشرق الأوسط، ومدير مشروع "كورت" للعلاقات العربية الإسرائيلية في معهد واشنطن، وقد شارك مع دينيس روس، في تأليف كتاب "الأساطير والأوهام والسلام". كذلك شارك في الإجابة عن أسئلة الشرق الأوسط جوناثان شانزر، نائب رئيس المؤسسة الأميركية للدفاع عن الديمقراطية، ودينيس روس من معهد واشنطن، وهو المستشار والوسيط الأميركي المخضرم لعملية السلام أثناء إدارتي كلينتون وجورج بوش الأب.

يقول ماكوفسكي "إن الإدارة الجديدة ستركز على كوفيد - 19 حتى بعد أن ظهرت بوادر التوصل إلى لقاح. ذلك لأن الآثار الاقتصادية للجائحة مريعة جدا، وتفاقمها أكثر مشكلات أخرى كتغيرات المناخ والرعاية الصحية، ذلك بالإضافة إلى إشكالات في السياسة الخارجية، أبرزها كيفية التعامل مع الصين. لذا فإن على المعنيين بالشرق الأوسط "معايرة" توقعاتهم جيدا، ولا يتفعلوا بتحريك جوهري وشيك".

جوناثان شانزر، أكد "إن بايدن يرث الكثير من المصاعب المحلية التي من شأنها دفع الشرق الأوسط إلى أدنى قائمة الأولويات. فهناك التعامل مع كوفيد - 19، إلى إعادة بناء الاقتصاد، على النحو الذي يساعد على معالجة الانقسام السياسي في الداخل. وأعتقد أن طبيعة التفويض الذي عبرت عنه نتائج الانتخابات، تقضي بعدم التركيز على الخارج، وإيقاع الأمور مركزة في الولايات المتحدة. إن الأميركيين ياملون في أن تتولى الرئاسة الإشراف على توزيع اللقاح بشكل جيد. وهناك تحديات داخلية أخرى تتطلب اهتمام الرئيس. لذلك أعتقد أن الشرق الأوسط سيبدو أقل إلحاحا، على الأقل في السنة

عدي صادق
كاتب سياسي
فلسطيني

يتداول الخبراء الأميركيون المعنون موضوع السياسة الأميركية حيال الشرق الأوسط وتوقعاتها في ظل إدارة الرئيس المنتخب جو بايدن. وكانت هناك أسئلة عدة، أهمها ثلاثة هي: متى وكيف سيحدث التغيير الأمريكي بخصوص الاتفاق النووي مع إيران؛ وهل هناك مشروع تسوية للصراع الفلسطيني الإسرائيلي؛ وما هو مصير اتفاقيات التطبيع؟

هذه الأسئلة الثلاثة، لا بد أنها راودت أذهان القادة السياسيين في العالم العربي، حيث لا يختلف اثنان على أهمية السؤال: كيف سيتعامل بايدن مع الشرق الأوسط؟

بالتهليل والتعليق، الإيجابية التي أدلى بها عدد من المختصين الأميركيين، ونشرتها صحيفة "جيزوراليم بوست". وهم ديفيد ماكوفسكي، مدير معهد واشنطن لمشروع سياسات الشرق الأدنى وعملية السلام في الشرق الأوسط، ومدير مشروع "كورت" للعلاقات العربية الإسرائيلية في معهد واشنطن، وقد شارك مع دينيس روس، في تأليف كتاب "الأساطير والأوهام والسلام". كذلك شارك في الإجابة عن أسئلة الشرق الأوسط جوناثان شانزر، نائب رئيس المؤسسة الأميركية للدفاع عن الديمقراطية، ودينيس روس من معهد واشنطن، وهو المستشار والوسيط الأميركي المخضرم لعملية السلام أثناء إدارتي كلينتون وجورج بوش الأب.

يقول ماكوفسكي "إن الإدارة الجديدة ستركز على كوفيد - 19 حتى بعد أن ظهرت بوادر التوصل إلى لقاح. ذلك لأن الآثار الاقتصادية للجائحة مريعة جدا، وتفاقمها أكثر مشكلات أخرى كتغيرات المناخ والرعاية الصحية، ذلك بالإضافة إلى إشكالات في السياسة الخارجية، أبرزها كيفية التعامل مع الصين. لذا فإن على المعنيين بالشرق الأوسط "معايرة" توقعاتهم جيدا، ولا يتفعلوا بتحريك جوهري وشيك".

